"عنبر٣٦"

فاتن عبد الرؤوف عبد المتجلي

بدت هذه الليلة غريبة على غير العادة، لا أنكر أنها الليلة الأولى لي في مستشفى المجانين هذه، لكنني كنت طبيبًا في مستشفى أخرى، كدت أن أكمل المرور على جميع العنابر، سمعت فتاه تصرخ بشكل هستيري، كأنها تستغيث كان هذا الصوت يأتي من عنبر ٣٦ أخر عنبر بالمشفى، يبدو هذا العنبر غريب بعض الشيء؛ فهو عنبر مفصول عن باقي العنابر، يوجد في ممر ضيق معتم.

بدأت أمشي في ذلك الممر الضيق ،وكلما اقتربت ازداد الصراخ بطريقة مرعبة، شعرت أن هذا الصوت يلتف حولي ويملأ أذني إلى درجة أنني لا أسمع حتى وقع أقدامي، عندما وقفت أمام باب العنبر، سكت الصوت فجأة ، فوضعت يدي على مقبض الباب لكي أفتحه لكنى وجدته مفتوحًا؛ فدخلت أتسَحب ببطءٍ شديد فجأة، أغلق الباب ورائي بقوة ألقت الرعب في قلبي، وجعلتني أتصبب عرقًا، لكنني بررت ذلك بأن الهواء هو من أغلقه!

يبدو أن هذا العنبر أغرب بكثير مما اعتقدت، فهو لا يشبه بقية العنابر في هذا المشفى ،إنما يشبة كثيرًا غرف التعذيب التي كنت أشاهدها في الأفلام التي تحكي عن المعتقلات.

على الرغم من أن الضوء خافت ، إلا أنني استطعت بصعوبة رؤية هذه الفتاة المكبلة في سريرها، كما أنها فتاة على قدرٍ وافر من الجمال ذات عيون واسعة، ووجه أبيض مستدير، لا بأس إن كان شعرها مبعثرًا بطريقة غريبة.

لكن من الذي كبلها بهذه الطريقة البشعة التي أدمت قدميها ويديها؟ جال هذا السؤال في خاطري.

عندما إقتربت منها،قالت بصوت متلعثم:

-ماذا فعلت له، كي يبعثني إلى ذلك المكان المخيف؟

- أهذا نتيجة عشقي له؟!

-إنه الجحيم ، ما زالت في أذني أصوات دق العظام ،ونزيف الدماء الساخنة المتدفقة، صوت الأرواح التي تصرخ من شدة العذاب، ومنظر الشياطين التي تأكل الأجساد، إنه الموت، ليس ذلك الموت الذي يريحنا بلْ موت من نوعٍ آخر، موت مستمر، وباق في مكان لا تحكمه إلا الشياطين.

-لا يستطيع أحد أن يتحمل ذلك المكان، حتى أنت، لا تدري كم توسلت إليه ألا يفعل ذلك بي، لماذا اغتصبني ثم قتلني بعد كل هذا الحب؟ فقد ادعيت الجنون حتى أكون بجواره، وألا أتزوج أحدًا غيره، إذًا فلماذا فعل ذلك؟

بت أقلق من حديثها الجنوني، أنها فتاة تدعي أنها قُتلت على يد حبيبها، إذًا من الذي يتحدث معي الآن؟

لولا أنني لا أصدق الخرافات، ولا أقتنع إلا بالأشياء العلمية، لاعتقدت أنني أتحدث مع شبح، ثم ضحكت ضحكة خفيفة عندما تذكرت أنني أتحدث إلى

مجنونة، فبدأت تنظر إليَّ بشكلٍ غريب، وعيونها الجميلة تحولت إلى اللون الأحمر يبدو أن تصرفي أغضبها.

فقالت لي بصوت تردد صداه في أرجاء العنبر:

-أنت لا تصدقني ،وتعتبرني مجنونة، حسنًا إذًا، أنت لا تدري أيضًا أنني نفذت انتقامي منه ، وبعثته إلى نفس المكان!

وبدأت تضحك بشكل مخيف جدًا ؛ فبدأت أركض من جوارها لاهثٍ ،كنت أركض وأنا أنظر خلفي خيفة من أن تلحقني، شعرت في هذه اللحظة أن الممر ازداد طولًا وظلمة، إلى أن وصلت أمام مكتبي ، وأنا أزدرد ريقي بصعوبة، وفجأة سمعت صوت يأتي من ورائي يقول:

-ماذا بك؟ لماذا ترتجف هكذا؟

فكان شابًا فارع الطول مهندم المنظر، فقلت له بصوتٍ لاهث:

-من أنت؟

-أنا أحمد، طبيب في هذا المشفى.

شعرت ببعض الإطمئنان عندما رأيته، وهدأت أنفاسي قليلًا وأنا أقول له:

-عنبر٣٦!

-بدا عليه بعض الغضب، وهو يقول :

-ميساء! ماذا تريد؟ ألم تكتفِ بما فعلته؟ سأذهب لأُلقنها درسًا لن تنساه.

لم أعقب على كلامه أبدًا، وظللت أنظر إليه إلى أن اختفى من أمامي في ثنية الممر، وفجأة شعرت بيد توضع على كتفي، فالتفت بذعرٍ، فكان الممرض،

-فسألني: ماذا بك؟

-فقلت له من الفتاة التي تمكث في عنبر٣٦.

نظر إليَّ بإندهاشٍ، وهو يقول:

- فتاة! أي فتاة؟ لا يوجد أحد في هذا العنبر.

-فقلت له :كيف هذا؟! وقد ذهب الدكتور أحمد ليراها الآن.

نظر لي نظرة ،كمن يقول في سره، حتمًا هذا الرجل فقد عقله:

-دكتور أحمد! من هذا؟ سكت قليلًا ، وبدا عليه أنه يتذكر شيء :

أه، أتقْصد دكتور أحمد الذي كان يعمل هنا؟! لكنه توفى منذ خمسة أشهر في حادثٍ مجهول.

obeikandl.com